1.6- تدريس الأدب الرقمي بالجامعات بين إكراهات الواقع وآفاق المستقبل

1.1.6- إكراهات تدريس الأدب الرقمي بالجامعات

إن المتأمل في واقع تدريس الأدب الرقمي بالجامعات، يدرك جليا الفرق الواضح بين التجربتين الغربية ونظيرتها العربية، كما وكيفا، فإذا كانت الجامعات والكليات الغربية (بأمريكا وكندا وفرنسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا،،،) تعتمد في مناهجها التربوية تدريس الأدب الرقمي، بوصفه شكلا تعبيريا قائم الذات، نظرا لإمكانات وقدرة هذه المجتمعات على مسايرة التطور التكنولوجي والوعي السائد بأهميته، فإن أغلب الجامعات والمؤسسات العربية، لا تعتمد في مناهجها التربوية تدريس الأدب الرقمي، وذلك راجع إلى مجموعة من الإكراهات والعقبات والأسباب التي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

أ- حداثة الأدب الرقمي

يمكن اعتبار الأدب الرقمي حديث النشأة وفي طور التجريب، حيث تعود بدايته الفعلية -في التجربة الغربية- إلى أواسط الثمانينيات من القرن الماضي، إثر بزوغ أول رواية رقمية تفاعلية قصة-الظهيرة (**Story-Afternoon**) لمايكل جويس سنة 1986، وقد ساعد على ذلك التطور التكنولوجي الكبير الذي شهده العالم، على مستوى انتشار الأجهزة الإلكترونية والوسائط المتعددة. أما في التجربة العربية فلا يتجاوز عمره العقدين من الزمن، عندما ظهرت أول رواية رقمية (ظلال الواحد) لمحمد سناجلة سنة 2001، لهذا السبب لا يزال العديد من الأدباء والنقاد والباحثين العرب، لم يتعرفوا بشكل جلي على هذا الإنتاج الأدبي الحديث الذي يسم العصر التكنولوجي، بل أكثر من ذلك، هناك من لم يقرأ إلى حدود الآن أي عمل إبداعي رقمي، ويسهم في تكريس هذا الوضع المركب والمتشعب، صعوبة انخراط هؤلاء في تجديد الوعي بالنقد والإبداع، خصوصا وأن الأدب الرقمي عبارة عن حالة تطورية لسيرورة الأدب في سياق ارتباطه بجهاز الحاسوب.

ب- ضعف التراكم الإبداعي والنقدي

تعكس حداثة الأدب الرقمي، ضعف التراكم الكمي والنوعي الذي تشهده التجربة العربية،إبداعا (الرواية الرقمية، القصة الرقمية، الشعر الرقمي والمسرح الرقمي) وتأملا (دراسات نقدية وأبحاث تنظيرية)، مما يسهم في تأخير نشر الثقافة الرقمية على نطاق واسع، فالنصوص هي وحدها التي بإمكانها تطوير ونشر هذه الثقافة وإثارة فضول القارئ ولفت انتباهه، وأيضا تحفيزه على التفاعل إيجابيا مع المنجز الرقمي الجديد، في هذا السياق ترى زهور كرام أن "الانخراط في ثقافة الأدب الرقمي، إبداعا وتأملا مسألة صعبة ومدهشة في

ذات الوقت، صعبة لكونها ما تزال تجربة في طور التشكل والبحث عن منطقها الذي سيحدد معالمها في المستقبل القريب، خاصة مع قلة النصوص التي تشجع عملية التأمل في تجليات هذا المنطق وعلى الخصوص في التجربة العربية"[1].

وعليه، من الصعب الحديث عن الأدب الرقمي أو الثقافة الرقمية، في غياب وعي وتفكير رقمي وتصور أو رؤية للعالم والأشياء.

ت- الفجوة الرقمية

تعد الثورة الرقمية التي يشهدها العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات والتواصل، أهم ما يميز هذا العصر في مجالاته المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والثقافية، وقد تولدت عنها ثقافة جديدة تعتمد في مرجعيتها وآليات اشتغالها على التكنولوجيا الحديثة. لكن بالموازاة مع ذلك، خلقت فجوة رقمية بين الدول الغربية والدول العربية، على مستوى المعرفة بها والقدرة على استخدامها.

فإذا كانت الدول الغربية تمتلك ناصية التكنولوجيا الحديثة وقادرة على تطويعها، خالقة بذلك ثقافة رقمية، تعتمد دعامة الوسيط التكنولوجي كأداة للإنتاج والتلقي، مما يسهل عليها الانخراط في هذا العصر الرقمي والتلاؤم معه. فإن الدول العربية تهيمن فيها الأمية الرقمية، من خلال ضعف المعرفة بالتكنولوجيا الحديثة والقدرة على استخدامها في الممارسة الأدبية إنتاجا وتلقيا، وذلك راجع إلى كون العديد من الكتاب والباحثين لا يتقنون استخدام الوسيط التكنولوجي –أي الحاسوب- ولا يحسنون التعامل معه وما يرافقه من عتاد وبرمجيات.

من هنا تأتي ضرورة الحديث حسب يقطين "عن الحاسوب باعتباره وسيطا جديدا للإبداع والتلقي والتواصل في عصرنا الراهن، الحديث عن المعرفة بهذا الوسيط ما دام استعماله صار ضروريا في أية عملية تواصلية. وإذا كنا سابقا نتحدث عن "الأمية" الأبجدية في عالمنا العربي، فيمكننا اليوم أن نتحدث عن "الأمية" المعلوماتية. فمتى يمكن تدارك هذه الأمية الجديدة؟ وكيف يمكننا الحيلولة دون تفشيها وتعمقها في مختلف الأوساط العربية المتعلم منها وغير المتعلم؟ وكيف يأتي لنا محاربتها مع الزمان الذي تتطور فيه هذه الصناعة (ات) في الغرب بوتيرة سريعة جدا"[2].

إن الأمية الرقمية المرتبطة بالتكنولوجيا الحديثة، تسهم في تأخير الانخراط في ثقافة الأدب الرقمي، والتي تعرف في الغرب تطورا سريعا في فترات قصيرة جدا، وهذا من شأنه

---

[1]- كرام زهور ، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، رؤية للنشر والتوزيع، ط.1، القاهرة، 2009، ص. 62.

[2]- يقطين سعيد، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، ط.1، الدار البيضاء، 2005، ص. 193.

أن يكرس ويعمق هذه الفجوة الرقمية في التجربة العربية، إذا لم يتم تجاوزها معرفيا وتقنيا، وعليه يصعب بعد ذلك تداركها والحد من تفشيها.

ث- موقف المعارضين للأدب الرقمي

يعتبر المعارضون للأدب الرقمي أن الكتابة بالقلم أكثر أصالة، أما التكنولوجيا فهي معقدة تخلو من أي خيال أو إبداع، وعليه يسوقون عدة مبررات تثنيهم عن الانخراط في التجربة الرقمية نذكر منها:[1]

يمثل الأدب الرقمي فئة نخبوية معينة تمتلك المعرفة والقدرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة، في حين نجد الأغلبية من الناس، خاصة في الدول العربية، لا تعرف ولا تحسن التعامل معها.

يخرج الأدب الرقمي عن التقاليد والأعراف الإبداعية الورقية، من خلال إشراكه للقارئ في عملية إنتاج النص، بحيث يمكنه أن يضيف أو يعدل أشياء في النص الأصلي، وعليه نصبح أمام تعددية إبداعية تقضي على الملكية الفردية للعمل الإبداعي، وهذا ما يساعد على طرق باب المحظورات، لأن أي قارئ كيفما كان مستواه المعرفي والثقافي، يمكنه أن يشارك في إنتاج النص الأصلي، الأمر الذي من شأنه أن يؤدي إلى اختلاف القصدية بين المبدع والقارئ.

الأدب الرقمي لا يتمتع بحصانة تضمن حقوق النشر والتوزيع للمبدع، في ظل غياب الرقيب أو المؤسسة، مما يجعله معرضا للسرقة، عكس الأدب الورقي الذي تكون فيه حقوق النشر والطبع محفوظة.

يركز الأدب الرقمي على الشكل أكثر من المضمون، حيث ينصب اهتمامه على توظيف التقنيات المعلوماتية وما يرافقها من عتاد وبرامج، أكثر من المضامين النصية، وعليه يتم إنتاج أدب بلا مشاعر إنسانية. يقول حسن سلمان" غير أن تلك التجارب الرقمية الجديدة بالعربية، قوبلت برفض شديد من قبل المتمسكين بالتقليد الورقي، حيث اتهم هؤلاء دعاة الأدب الرقمي بتقويض أركان قرون طويلة من الكتابة، وإنتاج أدب بلا مشاعر"[2].

ج- الخوف والدهشة من الأدب الرقمي

[1]- العنوز محمد، تفاعل الأدب والتكنولوجيا، نصوص الواقعية الرقمية لمحمد سناجلة نموذجا، ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط.1، عمان، 2016.
ص. 111-112.

[2]- انظر سلمان حسن، الأدب الرقمي يهدد بابتلاع الأدب الورقي، على الرابط:
http://vb.arabsgate.com/showthread.php?t=539332

إن الخوف من هذا المنجز الجديد، يجعل الكتاب والنقاد والمبدعين يرفضون الخوض في حقل الأدب الرقمي، وهذا الأمر راجع إلى كون أي تجربة جديدة أو مرحلة انتقالية عادة ما تقابل بتحفظ شديد. فمثلا عندما ظهر مصطلح "الأدب النسائي" رفضه البعض لكونه يجزئ الأدب إلى ذكوري وأنثوي، إضافة إلى أن مقاربة الأدب النسائي كانت تتم خارج النص النسائي، وعليه فالنقد الأدبي لم يألف هذه الظاهرة في بدايتها. لكن مع مرور الوقت تم الاشتغال على النص النسائي الذي تنتجه المرأة،والذي يقترح وثقافة المبادرة إلى المعرفة في المجتمع العربي- يتعامل مع التكنولوجيا بشيء من الدهشة"[1].

ح- الالتباس الحاصل في بعض المفاهيم والمصطلحات

تطلق معاني مخالفة للمفاهيم المألوفة. الأمر نفسه، ينطبق على رواد حركة الشعر الحر، الذي أصبح شعرا قائم الذات.

إن التعامل مع الأدب الرقمي باعتباره تجليا جديدا، يختلف عن المتعاقد عليه في الممارسة الإبداعية، وأيضا من حيث الوسيط التكنولوجي الحامل له، جعل أغلب المبدعين والكتاب والنقاد يتعاملون معه بنوع من الدهشة والخوف، ذلك أن تلقي هذ المنجز الجديد، يدفعهم إلى الانخراط والتلاؤم مع التكنولوجيا الحديثة، ويفرض عليهم تغيير نظرتهم للنص الأدبي، " الذي يأتي في حلة لم يتعود عليها القارئ الذي ما يزال –تحت شروط التكوين والتعلم

على ترجمة مصطلح (Littérature Numérique) العديد من المفاهيم منها: الأدب الرقمي، الأدب التفاعلي، الأدب الافتراضي، الأدب الإلكتروني،،، ويرجع هذا التعدد المفهومي للمصطلح الواحد، إلى حداثة التجربة الرقمية العربية، التي ما تزال تبحث لها عن موقع في الساحة الأدبية، أضف إلى ذلك، ضعف الإنتاج والدراسات التنظيرية والنقدية، في هذا السياق ترى كرام "أن ذلك يحتاج من جهة إلى تراكم النصوص، ومن جهة ثانية إلى نشاط حركة النقد. وعليه، فإن تعدد تسميات المفهوم كما يحدث مع التفاعلي والمترابط والرقمي، هو تعدد يترجم حالة النص التخييلي الرقمي. ومن ثمة، فالضرورة النقدية تقترح الانخراط في تجربة التحليل الأدبي الرقمي"[2].

خ- السياسات التعليمية التي تنهجها وزارة التعليم العالي

تعتبر السياسات التعليمية التي تنهجا وزارات التعليم العالي، من أبرز الإكراهات والتحديات التي تعيق تدريس الأدب الرقمي بالجامعات، فأغلب الدول العربية لا تدرج في مناهجها وبرامجها التربوية تدريس الأدب الرقمي كموضوع رئيس وتعليم طرق إنتاجه

[1]- كرام زهور ، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، مرجع سابق، ص.28.
[2]- المرجع نفسه، ص. 103.

وتلقيه، وهذا ما يجعلها غير مسايرة لحالة التطور التي تشهدها وسائط العصر الرقمي، والتي يتحقق من خلالها تجديد مظاهر إنتاج الإبداع وتلقيه.

إن أغلب الجامعات العربية ما تزال الذهنية السائدة فيها، لم تتشرب بعد ثقافة الوسائط التكنولوجية، لأنها من جهة، تعتمد على الاستهلاك أكثر من الإنتاج، ومن جهة أخرى، مرتبطة بفكر تقليدي ورقي، وهذا الأمر من شأنه أن يعمق الفجوة الرقمية بيننا وبين الدول الغربية.

2.6- آفاق تدريس الأدب الرقمي بالجامعات

تعد الجامعات أهم فضاء يمكن من خلاله أن ندخل العصر الرقمي ونتلاءم معه، وعليه سارعت العديد من الدول العربية إلى إصلاح نظامها التعليمي بجميع مدخلاته ومخرجاته وعملياته، من أجل إعداد جيل قادر على تطويع التكنولوجيا الحديثة، وتمكينه من اكتساب المهارات الضرورية للاستعانة بها في الانخراط في الأدب الرقمي إنتاجا وتفكيرا وأسئلة.وعليه، التقليص من حجم الهوة الرقمية التي تفصل بين الجامعات الأجنبية والجامعات العربية، خصوصا وأن الجامعة عبارة عن أرضية خصبة للتعريف بالثقافة الرقمية وتحصينها من خلال:

أ- ضرورة اعتماده كموضوع رئيس بالمناهج التعليمية

إن الانخراط السريع للجامعات الغربية في ثقافة الوسائط التكنولوجية التي يستند إليها الأدب الرقمي في إنتاجه وتلقيه، جعلها تقطع أشواطا كبرى في تدريس الكتابة الرقمية وإنتاج برامج خاصة بالكتابة الإبداعية، تساعد المبدعين الرقميين على إنتاج أعمالهم.مما يفرض على المؤسسات العربية التي لها سلطة تدبير الشأن الثقافي الجامعي، ضرورة تطوير طرق وأساليب التدريس وإدخال الأدب الرقمي كموضوع رئيس في مناهجها التعليمية، لأجل اللحاق بركب التجربة الغربية من جهة، والاستجابة لمتطلبات العصر والتفاعل معه من جهة أخرى.

و"مادام إنتاج النص التخييلي الرقمي يتم في سياق ثقافة علمية تكنولوجية تتطور بسرعة تفاجئ العقل البشري، فإن هذا الوضع يتطلب من الحكومات العربية بما فيها وزاراتها في التربية والتعليم ووزاراتها في الثقافة والتواصل بضرورة الانتباه إلى التربية على ثقافة التكنولوجيا، من أجل خلق جيل مؤهل لكي يبدع ثقافته وإبداعاته ورموزه بناء على ممارسته لثقافة التكنولوجيا وذلك حتى لا يبقى الفرد العربي مجرد مستهلك للمفاهيم – نظريا- وللتكنولوجيا كمتلق دون أن يتحول إلى منتج"[1].

إن تدريس الأدب الرقمي بالجامعات العربية، باعتبارها ضمانة حقيقية لتحصينه علميا ومعرفيا من كل انفلات، يشجع ويحفز على التفكير في هذا الإبدال الجديد ويكون جيلا

[1]- كرام زهور ، الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، مرجع سابق، ص.103-104.

جديدا ينخرط بشكل إيجابي في هذا الإبدال بوعي معرفي وعلمي، مما يمنح شرعية تقبله وتداوله.

ب- تأسيس دوريات ومجلات علمية ومواقع خاصة بالأدب الرقمي

تلعب الدوريات والمجلات العلمية والمواقع التي تعنى بنشر كل ما يرتبط بالأدب الرقمي، دورا أساسيا، في التعريف به، عبر ما ينشر فيها من أبحاث ومقالات ودراسات ومساهمات إبداعية، كما تسهم في نشر الوعي بالثقافة الرقمية والتحسيس بدورها الفعال في تلبية حاجات الإنسان المعاصر الفكرية والتعبيرية.

وعليه، فتأسيس مواقع إلكترونية وإصدار دوريات ومجلات علمية "تعنى بما يتحقق في المجال المعرفي الخاص بالمعلوميات، ومتابعة ما ينجز في الفضاء الشبكي الغربي والعربي وقراءته قراءة نقدية"[1]، من شأنها أن تساعد على تجميع إسهامات المشتغلين بالكتابة والنقد الرقميين، وتطوير الحس العلمي والمعرفي بالعصر الرقمي، لدى الأجيال المعاصرة، وتحفيزها على التعامل مع الثقافة الرقمية.

ت- تنظيم مؤتمرات وندوات وأيام دراسية في موضوع الأدب الرقمي

تعد منابر البحث العلمي، من الركائز الأساسية التي تسهم في نشر ثقافة العصر الرقمي ونشر الوعي بها وتبادل الخبرات والتجارب حولها، ويتجلى ذلك بوضوح، عبر تنظيم المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية التي تعالج موضوع الأدب الرقمي، كما توفر مناخا ملائما لتحفيز الطلبة على الاشتغال بهذا المنجز الجديد، من خلال إنجاز بحوث أكاديمية.وعليه، فانخراط المثقفين والمفكرين والمبدعين والعلماء في عوالم الوسائط التكنولوجية الحديثة، يسهم في التأسيس لنظرية الأدب الرقمي.

ث- فتح تكوينات أكاديمية تهتم بالأدب الرقمي

عملت بعض الجامعات العربية على تدريس الأدب الرقمي، من خلال اعتماد تكوينات في هذا المجال (مسالك أساسية، ماسترات وبنيات البحث)، نذكر منها (جامعات في دول من قبيل: الإمارات، المغرب، العراق، مصر، الجزائر والأردن،،،)، حيث أدخلته في مناهجها التعليمية، باعتباره موضوعا أساسيا، وعيا منها بأهمية الانخراط في العصر الرقمي والتلاؤم معه وتشجيع "التكوين في مجال تكنولوجيا الإعلام والتواصل أي في مجال الوسائط المتفاعلة وتشجيع الكفاءات العربية في هذه العلوم المتصلة بهذه التكنولوجيا للاستقرار

[1]- يقطين سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2008، ص. 203.

والإبداع في العالم العربي أو فيما يتصل به"[1]. وعليه، تسهم هذه التكوينات العلمية الأكاديمية في إعداد جيل، يتفاعل مع هذا المنجز الجديد وينخرط فيه بوعي علمي ومعرفي.

ج- التسليم بحقيقة الأدب الرقمي الذي يسم هذا العصر

يعتبر الأدب الرقمي حقيقة أدبية تميز العصر الرقمي، فهو يجسد حالة انتقالية وتطورية لسيرورة الأدب في علاقته بالوسيط التكنولوجي-أي الحاسوب-، كما أنه يعبر عن إنسان هذا العصر في كينونته الرقمية وعالمه الافتراضي، وليس مجرد موضة عابرة، يؤكد ذلك، الإقبال الهائل على التكنولوجيا الحديثة من طرف الأجيال الحاضرة والقادمة، على اعتبار أنها تربت في بيئة رقمية وترعرعت فيها، إضافة إلى التطور الذي بدأ يحصل مؤخرا في مجال الإبداع والتأليف الأدبي الرقمي كما وكيفا، الأمر الذي يتطلب من كل مبدع ومثقف الانخراط في الدرس الأدبي الرقمي، إنتاجا وتفكيرا وأسئلة، والتسليم بحقيقته والعمل من خلاله على تجاوز مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج.

-تركيب

أفرزت العلاقة بين الأدب والتكنولوجيا، ولادة أشكال تعبيرية جديدة على مستوى الإنتاج والتلقي، تجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن تلقيها إلا عبر الوسيط التكنولوجي أي الحاسوب، الذي فتح آفاقا معرفية جديدة، أدت إلى تطوير الحس الجمالي والفني والوعي المعرفي بالثقافة الرقمية.

أفضت ثقافة الوسائط التكنولوجية السائدة في المجتمعات الغربية والتي يعتمدها الأدب الرقمي في إنتاجه وتحققه، إلى تدريسه بجامعاتها، وإنتاج برامج خاصة بالكتابة الإبداعية للكتاب الرقميين، عكس المجتمعات العربية التي لا تزال متأخرة في تدريسه بأغلب جامعاتها، نظرا للعلاقة التي تربطها بالوسائط التكنولوجية والتي ما تزال لم تتشربها الذهنية العربية بعد، بوصفها ثقافة إنتاج وليست ثقافة استهلاك.

رغم الإكراهات والتحديات التي تواجه الأدب الرقمي، فإن الأمر يتطلب من المؤسسات العربية التي لها سلطة تدبير الشأن الثقافي الجامعي، إدخال الأدب الرقمي كموضوع رئيس في مناهجها التعليمية، لمواكبة التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم، في مختلف مناحي الحياة، وإعداد وتكوين جيل واع بالثقافة الرقمية وقادر على استثمارها وتطويعها في مجال الأدب إنتاجا وتلقيا.

[1]- يقطين سعيد، من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، مرجع سابق، ص. 248.

ضرورة انخراط المثقفين والمفكرين والمبدعين والعلماء في العصر الرقمي والتلاؤم معه، من أجل نشر الوعي بالثقافة الرقمية، وإبراز دورها الفعال في تلبية حاجات الأجيال الحاضرة والقادمة الفكرية والتعبيرية، وتحفيزها على التفاعل معها إنتاجا وتفكيرا وأسئلة.

تعتبر الجامعات الأرضية الخصبة لتدريس الأدب الرقمي، والفضاء الأنسب لصناعة وامتلاك ناصية التكنولوجيا، والأداة الفاعلة لاحتوائها، عبر ما تقدمه -الجامعات- من مدخلات ومخرجات تعليمية وبحثية حديثة، تسهم في حالة التطور التي يشهدها الأدب في علاقته بالوسيط التكنولوجي.

الأدب الرقمي مرآة العصر الذي نعيش فيه، لأنه لصيق باليومي ويعبر عنه، وله الحق في الممارسة التجريبية والانفتاح على مختلف المستويات المعرفية، خاصة الوسيط التكنولوجي الذي تفاعل معه وأفاد منه.